

٦

سلسلة

عائشة بنت أبي بكر

الجزء الثالث

حادثة الإفك

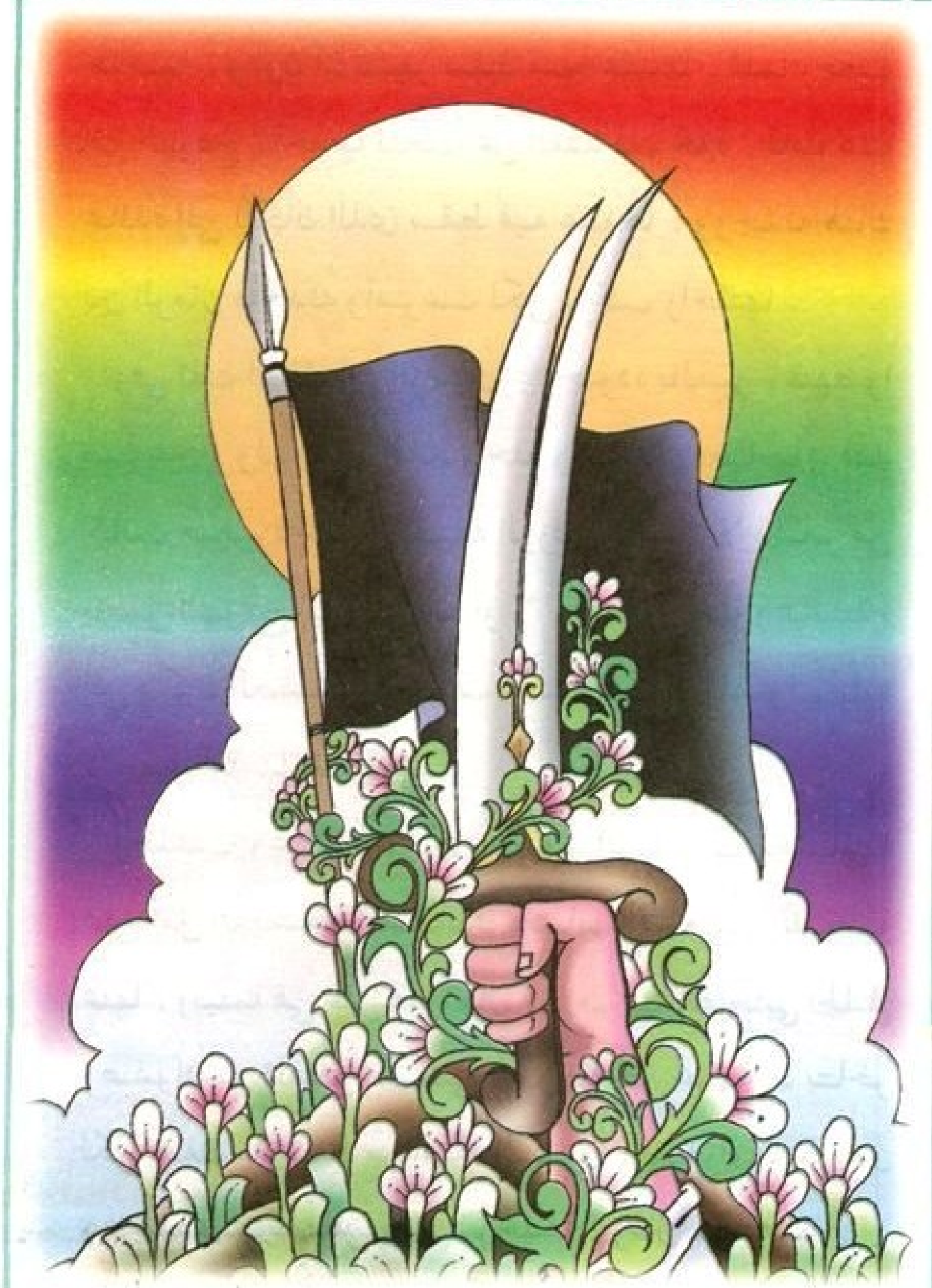
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى

دار النشر

عاشت (عائشة رضي الله عنها) أسعد أيامها بجوار زوجها ﷺ ، الذي منحها الحب والأمان ، وكانت هي بالنسبة له الزوجة والحبيبة التي تخفف عنه كل همومه وتزيل آلامه ، ولكن هذا الهدوء تحول فجأة إلى عاصفة كادت أن تدمر كل شيء : البراءة والحب والذكريات ، لكن الله (تعالى) تدارك رسوله ﷺ في الوقت المناسب ، وأنزل الوحي ليرد لـ (عائشة) الطاهرة اعتبارها ويبرئ ساحتها من التهمة البشعة التي حاول المنافقون والمشركون أن يلصقوها بها ظلماً وعدواناً .

ففي العام السادس للهجرة ، خرجت (عائشة رضي الله عنها) مع الرسول ﷺ في غزوة بني المصطلق ، وانتصر الرسول ﷺ نصراً مؤزراً على اليهود ، وسار بجنوده عائداً إلى المدينة المنورة في وقت متأخر من الليل ، فأمر جنوده أن يستريحوا بعض الوقت ، قبل أن يواصلوا السير مرة أخرى .

ونزلت (عائشة) من هودجها ومضت لقضاء بعض

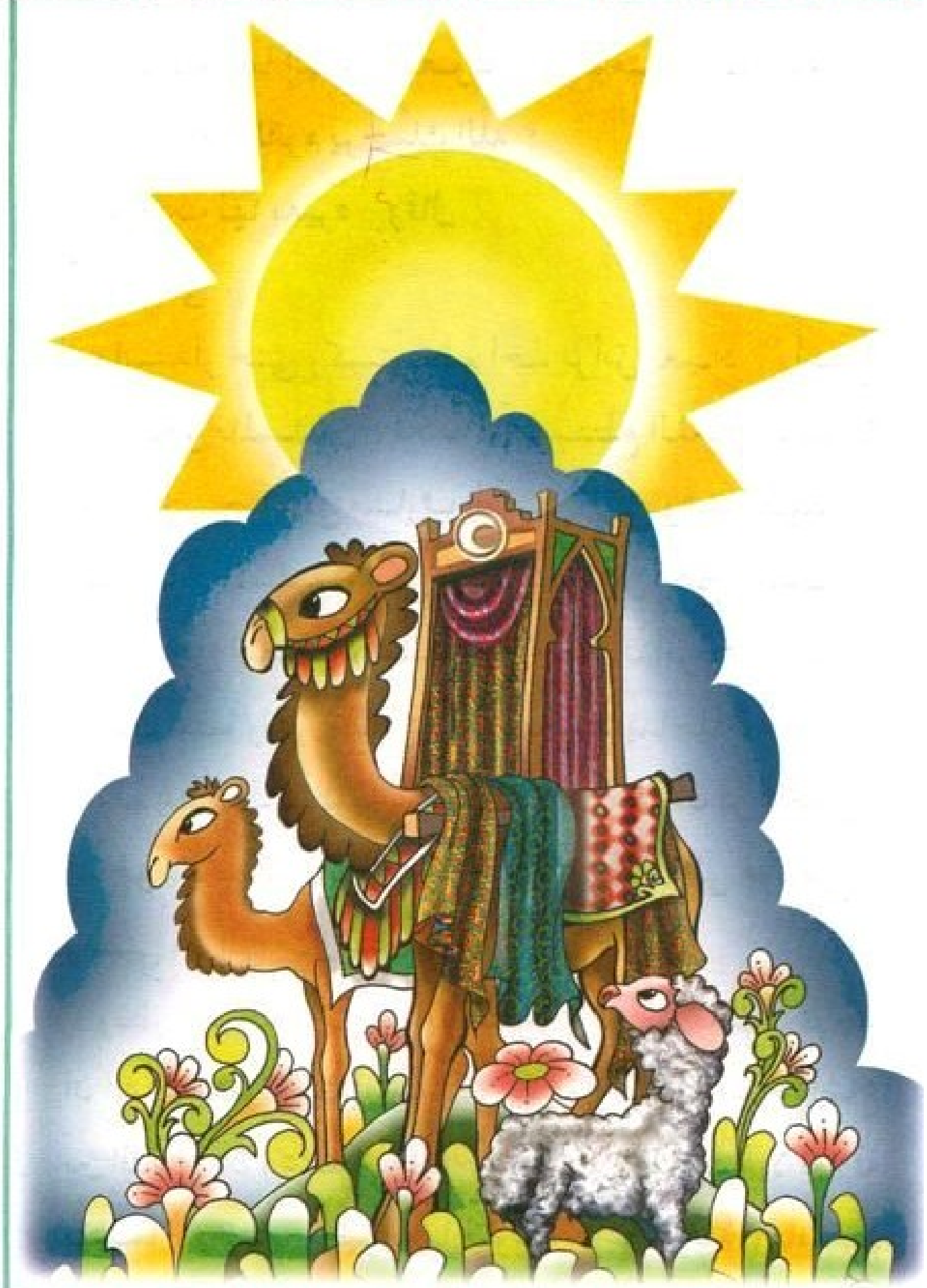


حاجتها ، ودون أن تشعر سقط منها عقدُها ، فلما رجعت إلى الهودج ، أخذت تبحث عن العقد فلم تجده ، فأسرعت عائدةً إلى المكان الذي سقط فيه عقدُها ، ووجدته هناك بين الرمال فأخذته وأسرعت لكي تتركب راحلتها .

وفي تلك الأثناء أمر الرسول ﷺ جنوده بالسير ، فنهضوا مُسرعين ، ولم يشعر قائد راحلة (عائشة) بغيابها ، فقد كانت صغيرة السن خفيفة الوزن ، بحيث لا يشعر من يحمل الهودج إن كانت به أو لا ، فلما رجعت (عائشة) إلى مكان العسكر وجدت الجنود قد انطلقوا ، وأنه لا سبيل أمامها للحاق بهم .

وجلست (عائشة) مكانها بعد أن تلففت بجلبابها على أمل أن يشعر المسلمون بغيابها فيعودوا للبحث عنها ، وبينما هي على هذا الحال ، إذ مر بها الصحابي الجليل (صفوان بن المعطل السلمي) ، وكان من عادته أن يتأخر لكي يلتقط ما يسقط من أمتعة المسلمين ، فلما رأى أم المؤمنين (عائشة) تعجب من بقائها وحدها ، وقال في دهشة :

ಕೃಷಿಪ್ರಾಚೀನಕಾಲದಿಂದಲೂ ಕೃಷಿಪ್ರಾಚೀನಕಾಲದಿಂದಲೂ

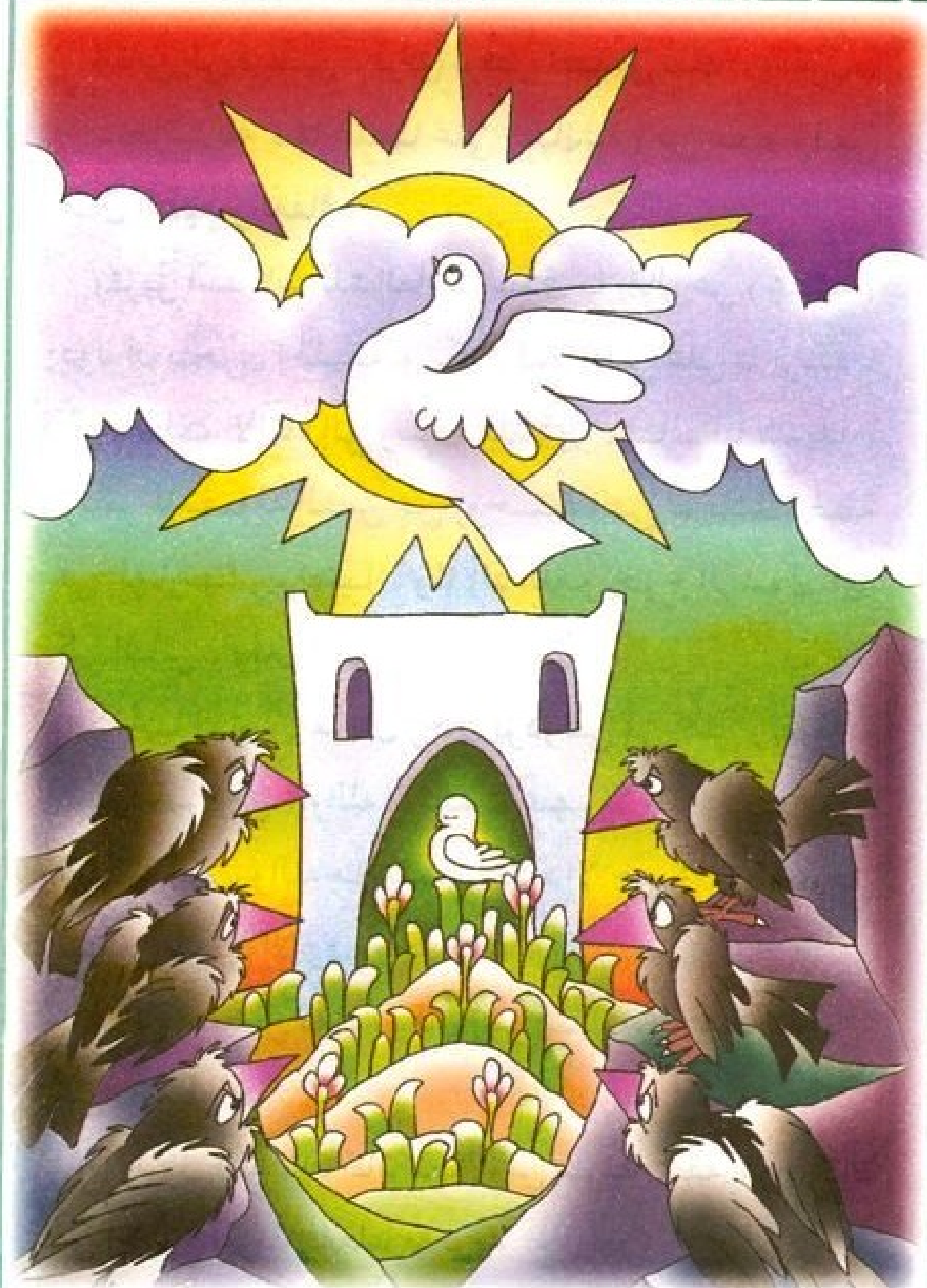


ಕೃಷಿಪ್ರಾಚೀನಕಾಲದಿಂದಲೂ ಕೃಷಿಪ್ರಾಚೀನಕಾಲದಿಂದಲೂ

- إنا لله وإنا إليه راجعون ، أم المؤمنين (عائشة) ؟
 ما أخرجك عن القوم يرحمك الله ؟
 ثم قرب لها بعيره ، وقال :
 - اركبي .

واستدار حتى ركبت ، ثم أخذ برأس بعيره ، وأسرع
 كي يلحق بالمسلمين ، لكنه لم يستطع اللحاق بهم إلا
 بعد أن أصبحوا على مشارف الوُصُول ، في وقت الظهيرة ،
 حيث نزل المسلمون لكي يستريحوا من وهج الشمس ،
 ولم يشعروا بغياب (عائشة) إلا بعد أن أنزلوا الهودج ،
 وبحث عنها رسول الله ﷺ فلم يجدها بداخله .
 ولم يمض وقتٌ طويلٌ ، حتى كان (صفوان بن المعطل)
 قد لحق بالعسكر فأنزل أم المؤمنين (عائشة) إلى هودجها ،
 ومضى هو إلى حال سبيله .

ونظر (عبد الله بن أبي بن سلول) إلى ما حدث ، فوجد
 أن الفرصة قد لاحت أمامه لكي يستغل هذا الموقف ، فأشاع
 بين الناس ، أن (عائشة) ما تأخرت هي و (صفوان) إلا لعلاقة
 بينهما ، وانتشر الخبر بين الجنود بسرعة غريبة ، فانقسم



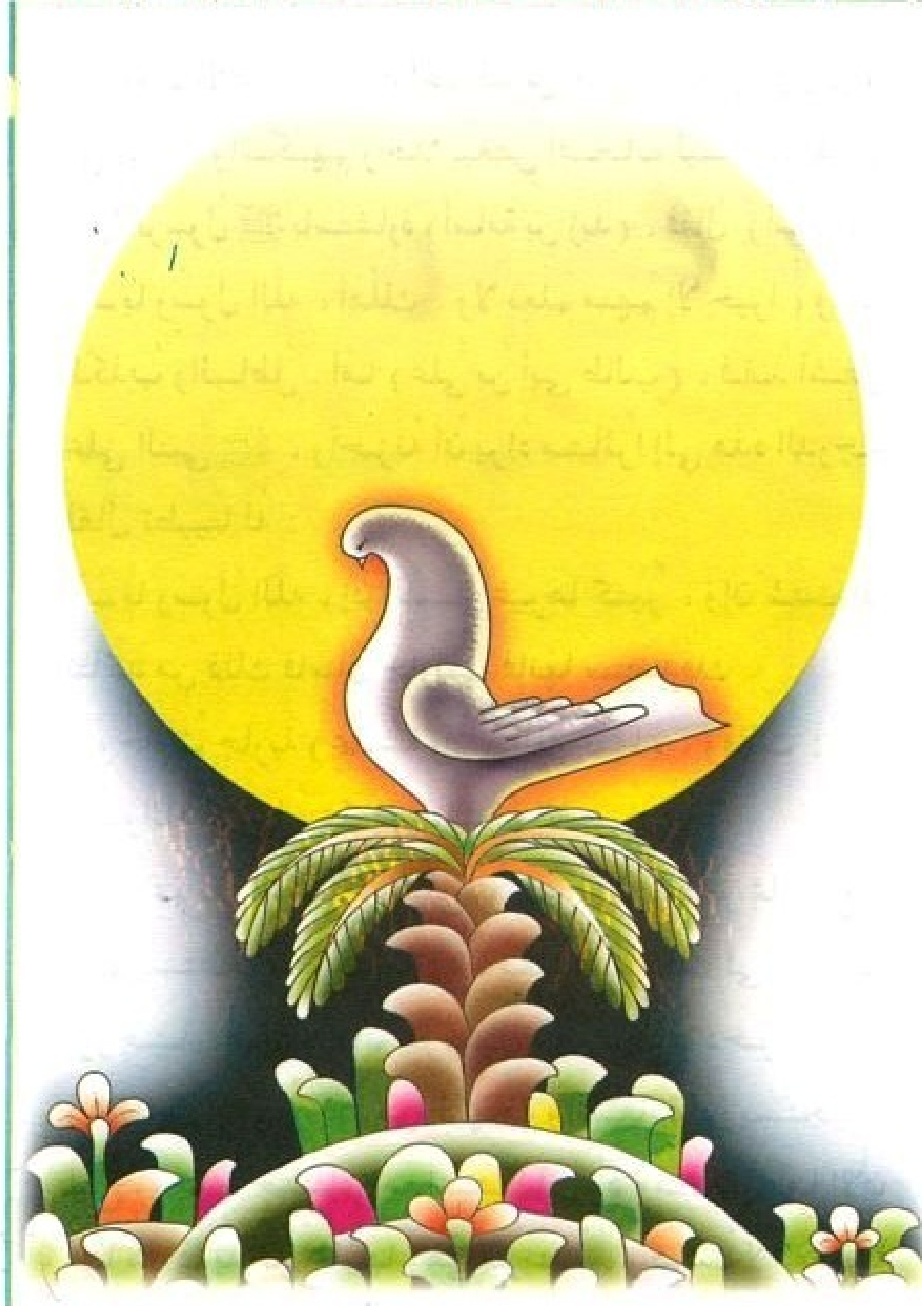
الناس إلى فريقين ، فريق يرفضُ تصديقَ ذلك ، ويقولُ :
- حاشا لله ، ما علمنا على (عائشة) من سوءٍ ، فهي
مثالُ الطَّهْرِ والعِفَافِ .

وفريق استجاب للشائعات وصدق ما يقال عن (عائشة)
دون أن يتحرى الحقيقة أو يكون لديه دليل على ما يردده .
ووصلت الأنبياء إلى رسول الله ﷺ ، فتألم ألماً شديداً ،
وتأثر لما يقوله الناس عن زوجته التي لم يشك لحظة
في طهارتها وبراءتها ، ولما زاد اللغو خرج الرسول ﷺ
إلى الناس ، وقال لهم :

- يأيتها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون
عليهم غير الحق ؟ والله ما علمت عنهم إلا خيراً ، ويقولون
ذلك لرجل ، والله ما علمت عليه إلا خيراً ، وما يدخل
بيتاً من بيوتى إلا وهو معي !

فقام (سعد بن معاذ) وقال وهو يشير إلى (عبد الله بن
أبي بن سلول) :

يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان
من الخزرج أمرتنا ففعلنا ما تريد .

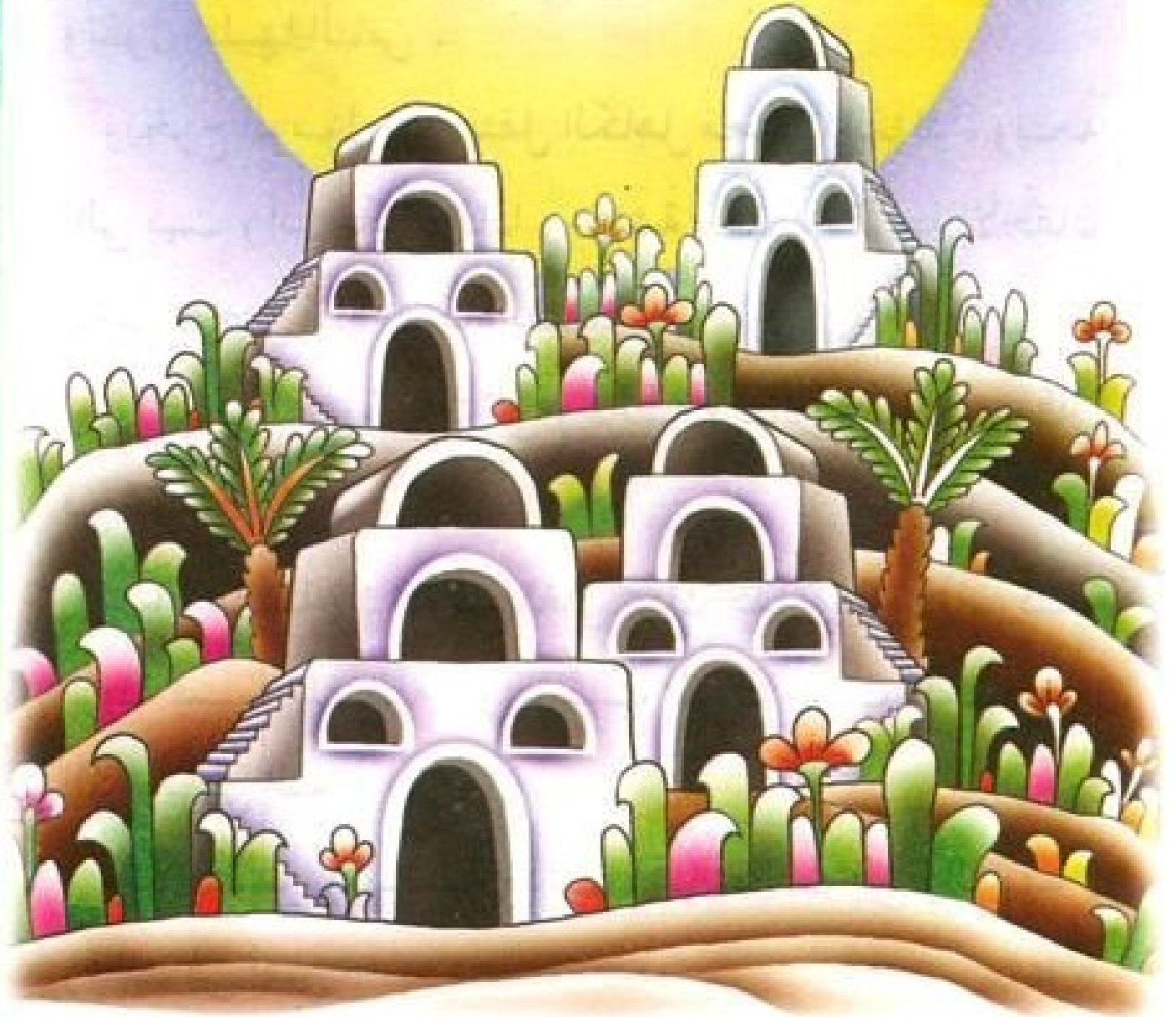


وعلت الأصوات واختلف الناس حتى نزل الرسول ﷺ من مكانه وأسكتهم وخلا ببعض أصحابه ليستشيرهم ، وبدأ الرسول ﷺ باستشارة (أسامة بن زيد) ، فقال (أسامة) :
- يا رسول الله ، أهلك ، ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل . أما (علي بن أبي طالب) ، فقد أشفق على النبي ﷺ ، وأحزنه أن يراه متأثراً إلى هذه الدرجة فقال تطيباً له :

- يا رسول الله ، إن النساء غيرها كثير ، وإن شئت أن تتأكد من ذلك فاسأل جاريتها فإنها ستصدقك .
وجاءت جارية (عائشة رضي الله عنها) ، وقالت :
- والله ما أعلم علي (عائشة) إلا خيراً .

وبرغم ثقة الرسول ﷺ في زوجته ، إلا أنه تأثر بما سمع ، ولم يستطع أن يخفي تأثره ، فقد ظهر ذلك في معاملته لزوجته ، فقد كان الرسول ﷺ بمجرد دخوله بيت (عائشة) يشيع جواً من البهجة والسعادة ، ويستجيب لمرح زوجته الحسنة ومداعبتها في ود ومحبة ، أما الآن فها هو ذا يدخل عليها وهي مريضة ، وكانت لا تعلم بما

يدور حولها ، فلم يخبرها أحدٌ بذلك ، ويسلم عليها
ويكتفى بسؤاله عن أحوالها .
وأحست (عائشة) بشيء من الفتور في علاقة زوجها بها ،
فطلبت أن تذهب إلى بيت أبيها فأذن لها الرسول ﷺ بذلك .
وفي بيتها سمعت (عائشة) ما يشاع عنها لأول مرة ،
فلم تتمالك نفسها من البكاء ، وفي هذه اللحظة عرفت



سرَّ الجفوة من رسول الله ، وراحت تقول لأُمها وهي تبكي :
- يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين
لي من ذلك شيئاً .

فضمتها أُمها إلى صدرها وهي تقول :
- أي بنية ، هوني على نفسك ، فوالله لقلما كانت امرأة
حسناً عند رجل يحبها ، ولها ضرائر ، إلا وتقولوا عليها
وتقول عليها الناس .

ويخرج الرسول ﷺ مُثْقَل الكاهل محزون الفؤاد ، ويتجه
إلى بيت (أبي بكر) فإذا (عائشة) هناك مقرحة الأجفان
تبكي ، حتى كاد البكاء يقتلها .

والتفت الرسول ﷺ إلى (عائشة) فتأثر لبكائها ، وقال
في حُزن :
- يا (عائشة) ، إنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت

بريئة فسيرُك الله ، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري
الله وتوبى إليه .

ولم تحمل (عائشة) ذلك ، فالتفت إلى والديها ،
وقالت في أسى :

– أَلَا تَجِيبَانِ رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَا وَالْحَزَنُ يُعْتَصِرُهُمَا :

– وَاللَّهِ مَا نَدْرِي بِمِ نَجِيبُ !

وَأَخَذَتِ الدَّمُوعُ تَنْهَمِرُ عَلَى خَدَّيْهَا ، وَقَالَتْ فِي إِصْرَارٍ :

– وَاللَّهِ ، لَقَدْ عَرَفْتُ أَنْكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ

فِي نَفُوسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ – وَاللَّهِ

يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ – لَا تَصْدُقُونِي فِي ذَلِكَ ، وَلَئِنْ أَنَا أَقْرَرْتُ

بِمَا يَقُولُ النَّاسُ ، لِأَقُولَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ .



وحاولت (عائشة) أن تعزّي نفسها ، فتذكرت (يعقوب عليه السلام) وما أصابه من الحزن واعتصر قلبه من الألم حتى ابيضت عيناه من الحزن ، وقالت وهي تبكي :

- إني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف :

﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ .

ثم أسرع إلى حجرتها وجلست على أريكاتها وهي تبكي بحرقة ومرارة .

وقبل أن يخرج الرسول ﷺ من بيت (أبي بكر) نزل عليه الوحي ، وما هي إلا لحظات حتى كان وجهه ﷺ يضيء كالقمر ، وعادت إليه ابتسامته ، وقال :

- أبشري يا (عائشة) فقد أنزل الله براءتك .

واقتربت الأم من ابنتها واحتضنتها ، وقالت لها :

- يا بنتي قومي إلى زوجك واشكّريه .

فقال (عائشة) :

- لا والله لا أقوم إليه ، ولا أحمده إلا الله ، هو الذي أنزل

براءتي .

والتفت (عائشة) إلى أبيها ، وقالت معاتبة :

- يا أبتاه هلاً كنت عذرتني ؟

فقال :

- أَيْ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي ، وَأَيْ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ قُلْتُ بِمَا لَا أَعْلَمُ ؟
أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَقَدْ أَحْزَنَهُ وَآلَهُ مَا عَانَتْهُ زَوْجَتُهُ وَمَا كَابَدَتْهُ طَوَالَ
هَذِهِ الْفِتْرَةِ ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَتَلَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُ (تَعَالَى) :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ
بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي
تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ
الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ *
لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ
عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

(النور: ١١ - ١٤)



لقد برأ الله ساحة (عائشة) الطاهرة من فوق سبع سموات ، وكان لأبد من هذه المحنة الصعبة لكي يتعلم المسلمون في كل مكان وزمان أن يواجهوا الشائعات وألا يخوضوا فيها بلا علم أو دليل ، وإلا أهلكوا أنفسهم بأيديهم .

ولعل في هذه القصة ما يؤكد بشرية الرسول ﷺ ، فهو لا يعلم الغيب ، وقد تأثر بما سمع ، واضطرب كما يضطرب الناس ، وتشكك كما تشككوا ، لكنه في نهاية الأمر رسول يتلقى من الله الوحي والرسالة لكي يصحح له الخطأ ، ويعصمه من الزلل ، ويوضح ذلك للناس كافة . وبقي المسلمون في كل مكان يتلون هذه الآيات التي تظهر براءة (عائشة رضي الله عنها) مما نسب إليها ، وترسم لهم المنهج الصحيح في مواجهة الشائعات ، فهل تعلموا الدرس ؟

(تمت)

الكتاب القادم

عائشة بنت أبي بكر (٤)

(المرجع الأول في الحديث والسنة)

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٣٦٤٣

التسجيل الدولي : ٥ - ٤٧٥ - ٢٦٦ - ٩٧٧